

تاريخ القبول: 2022/03/22

تاريخ الإرسال: 2022/02/01

تاريخ النشر: 2022/10/07

أهمية المنهج الوصفي والتاريخي في البحوث الأكاديمية لطلبة الآداب والعلوم الإنسانية

The Importance on the Descriptive and Historical Curricula in Academic Research for Students of Arts and Human Sciences

د. فاطمة برماتي¹¹ f.bermati@univ-adrar.edu.dz، جامعة أدرار (الجزائر)

المخلص:

عمدنا في هذه الورقة العلمية البحثية التركيز على أنواع مناهج البحث العلمي وأهميتها، محاولين إبراز أهميتها في إنجاز البحوث الأكاديمية لطلبتنا في مختلف فروع الآداب والعلوم الإنسانية؛ وذلك بالتحديد لطلبة الليسانس والماستر والدكتوراه، دون إغفالنا لحقيقة أهمية البحث الجاد، وكذا أهمية الباحث وصدقه وأمانته وجديته في إنجازه لأبحاث أكاديمية مستوفية للإجراءات المنهجية المتبعة، معتمدا في ذلك على المنهج الوصفي أو التاريخي - مثلا- تنظيراً وتطبيقاً، المدعم بأداة التحليل، ليصل في آخر بحثه بنتائج مهمة يستفيد منها الباحثون والدارسون على حد السواء. مع الإشارة إلى أنواع البحث؛ التي منها النظرية والتطبيقية والتجريبية..

الكلمات المفتاحية: الوصفي، التاريخي، الأكاديمي، المناهج، الباحث.

Abstract:

In this research paper, we purposely focused on the types of scientific research curricula and their importance, with an attempt to show their importance in achieving academic research for students in the different disciplines of arts and humanities, particularly for students in bachelor's, master's and Ph. D. degree students. The paper also focuses on the originality of the research, the researcher and his commitment to the ethics in achieving academic research and fulfilling the methodological measures based on the descriptive historical approach, for instance, theoretically and practically, supported by analytical tools to reach important results for the benefit of both researchers and learners. Finally, the research refers to the types of research including the theoretical, the practical and the experimental.

Keywords: Descriptive, Historical, Academic, Curricula, Researcher.

المؤلف المرسل: فاطمة برماتي، F.BERMATI@UNIV-ADRAR.EDU.DZ

1. المقدمة:

تُعد مناهج البحث العلمي بالنسبة للطلبة والباحثين من الأمور المهمة التي لا غنى للباحث عنها في سبيل الارتقاء بالبحث الأكاديمي نحو الأفضل والتميز، بل إنه من الواجب العناية بها أَيْماً عناية؛ خصوصاً إذا ما عرفنا أنها متعددة ومتنوعة حسب طبيعة البحث المراد دراسته؛ التي منها المنهج الوصفي، والتاريخي، والإحصائي، والاستقرائي، والمقارن.. لذا عمدنا في هذه الدراسة للاقتصار على المنهجي الوصفي والتاريخي لشيوع استعمالهما في حقلَي الآداب والعلوم الإنسانية.

2. مفهوم المنهج في اللغة والاصطلاح:

قبل بسطنا الحديث في المفهوم اللغوي للمنهج، نحاول الوقوف عند قوله المولى عز وجل: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾¹؛ والمنهاج في تفسير الطبري

(ت310هـ) "أصله: الطريق البين الواضح، يقال منه: هو طريق نَهْجٍ، ومنهَجٌ، بَيِّنٌ. فمعنى الكلام: لكل قوم منكم جعلنا طريقاً إلى الحق يَوْمُهُ، وسبيلاً واضحاً يعمل به"².

وأما في المعاجم اللغوية فنجدها لاتخرج عن المدلول نفسه الوارد في النص القرآني السابق على أن كلمة المنهاج هو الطريق الواضح، حيث يرى ابن منظور إنَّ "الْمِنْهَاجُ: الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ،... وَتَهَجَّبُ الطَّرِيقُ: أَبْنَتْهُ وَأَوْضَحَتْهُ؛ يُقَالُ: اعْمَلْ عَلَى مَا تَهَجَّبُهُ لَكَ، وَتَهَجَّبُ الطَّرِيقُ: سَلَكْتُهُ. وَفُلَانٌ يَسْتَهْجُ سَبِيلَ فُلَانٍ أَيْ يَسْلُكُ، وَالتَّهْجُ: الطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ"³.

وفي السياق نفسه ما جاء في المعجم الوسيط: " (نهج) الطريق نهجاً، ونهوجاً؛ وضح واستبان، ويقال: نهج أمره. والدَّابَّةٌ أو الإنسان نهجاً، ونهيجاً: تتابع نفسه من الإعياء... ويقال نهج الطريق: بيَّنه وسلكه... (انتهج) الطريق: استبانته وسلكه... الْمِنْهَاجُ: الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ... النَّاهِجُ: يُقَالُ: طَرِيقُ نَاهِجٍ: وَاضِحٌ بَيِّنٌ. وَطَرِيقَةٌ نَاهِجَةٌ: وَاضِحَةٌ بَيِّنَةٌ. التَّهْجُ: الْبَيِّنُ الْوَاضِحُ"⁴.

ومما يتضح لنا من التعاريف السابقة، أن المنهج هو الطريق المستقيم الواضح والمستمر والبيِّن، الموصل إلى الغرض المطلوب أو تحقيق الهدف المنشود. وأما من حيث المفهوم الاطلاحي، فإننا نجد له عدة تعاريف تكاد تصب في قالب واحد، على أنه يوصف بالطريق الأقصر والأسلم للوصول إلى الهدف المنشود، وذلك مثل ما عبّر عنه عبد الرحمان بدوي قائلاً: "الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بوساطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة"⁵.

أو هو "مجموعة الإجراءات الذهنية التي يتمثلها الباحث مقدماً لعملية المعرفة التي سيقبل عليها، من أجل التوصل إلى حقيقة المادة التي يستهدفها"⁶.

وهو إجراء أو عملية لإحراز شيء أو لتحقيق هدف، أو أسلوب للاستقصاء يصلح للتخصص أو فن بعينه، كما يقصد به -أيضا- خطة نظامية لعرض مادة للتعليم أو التوجيه، أو فرعا من المعرفة أو الدراسة، يتناول مبادئ وتقنيات التحقيق العلمي.⁷

ومن خلال ذلك، يتبين أن المنهج العلمي يستخدم أداة منهجية غاية في الأهمية وهي التحليل، لمجموعة المبادئ والأسس التي ينطلق منها أي بحث علمي، على أن يتسم هذا التحليل بصفات منطقية مثل الاتساق والضرورة؛ باعتباره يشير إلى عمليتين رئيسيتين هما الاستقراء والاستنباط، أو التحليل والتركيب؛ حيث يمكننا النظر إلى الاستقراء على أنه تحليل ينتقل من الشخص إلى المجرّد، من الحالات التطبيقية لمبدأ إلى المبدأ ذاته، كما ينظر إلى الاستنباط على أنه انتقال من البسيط إلى المركب، من المبدأ إلى تطبيقات المبدأ، ومن الضروري إلى العرضي، كما يمكننا القول إن النسق الاستنباطي يتلاءم والكتب المدرسية، بينما المعمل هو المكان الطبيعي للعمليات الاستقرائية، غير أن أغلب العلوم تستخدم المنهج العلمي بشقيه الاستنباطي والاستقرائي، أو التحليلي والتركيب معاً عند دراسة أي ظاهرة⁸.

3. أهمية منهجية البحث:

والقصد بمنهجية البحث المنهج الذي اختاره الباحث لبحثه؛ أي من خلال ما اختاره من منهج تاريخي، أو إحصائي، أو مقارن...، ويتم ذلك بناء على الإمكانيات المتاحة للباحث وطبيعة موضوعه. أما العينة المختارة فتكون على حسب طبيعة بحثه المدروس؛ كاختياره لدراسة كتاب معين، أو دراسة شخصية معينة، أو دراسة حالة مؤسسة تربوية...، إضافة إلى ذلك كله، أن يكون الباحث واعياً بسبب اختياره للعينة المدروسة ومميزاتها وعيوبها⁹.

ولأهمية المنهج اشتغل به الفلاسفة والعلماء باعتباره ينحصر في الكشف عن القواعد العامة التي تهيم على سير العقل وتحدد عملياته وخطواته حتى يصل إلى النتيجة المراد الوصول إليها. كما اهتم العلماء بالمنهج اهتماماً بالغاً، ووصفوه بأنه فن وضع التابع بين أفكار عديدة، إما لاكتشاف الحقيقة عندما نجهلها، أو للبرهنة للآخرين عندما نعرفها، فهو مجموعة من العمليات المستخدمة إما في الاكتشافات أو في البرهنة¹⁰.

4. مفهوم منهج البحث العلمي:

إن دراسة مناهج البحث تزود الدارس بالخبرات التي تمكنه من القراءة التحليلية النافذة للبحوث وملخصاتها وتقويم نتائجها، أو الحكم على ما إذا كانت الأساليب المستخدمة في هذه البحوث تدفع إلى الثقة بنتائجها ومعدل الاستفادة منها في مجالات التطبيق والعمل، ومنه أن دراسة مناهج البحث ضرورة لاغنى عنها للباحثين المشتغلين في مجالات البحث العلمي، كما يقصد بالمنهج الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسة موضوع ما¹¹.

لقد تعددت تعاريف منهج البحث العلمي، إلا أننا نوجزها في الآتي¹²:

- منهج البحث هو مجموعة من القواعد العامة التي يعتمد عليها الباحث في تنظيم ما لديه من أفكار أو معلومات من أجل توصله إلى النتائج المرجوة.

- منهج البحث العلمي قد يقتصر على أسلوب واحد واضح ومميز وقد يشتمل على مجموعة من الأساليب ذات الخصائص المتشابهة؛ باعتباره أسلوباً للتفكير والعمل يعتمد عليه الباحث لتنظيم أفكاره وتحليلها وعرضها وبالتالي الوصول إلى نتائج وحقائق معقولة حول الظاهرة موضوع الدراسة.

- الأسلوب الذي يستخدمه الباحث في دراسة ظاهرة معينة، الذي من خلاله يتم تنظيم الأفكار المتنوعة بطريقة تمكنه من علاج مشكلة البحث.

-يرتبط تحديد الأسلوب أو المنهج العلمي الذي يستخدمه ويطبقه الباحث لدراسة ظاهرة أو مشكلة معينة بحسب الظواهر المدروسة في خصائصها وموضوعاتها فما يصلح لدراسة ظاهرة، قد لا يصلح لدراسة ظاهرة أخرى؛ لأن بعض الظواهر لا يمكن دراستها إلا باستخدام أساليب ومناهج علمية معينة، فكثير من العلوم يمكن تمييزها والتعرف عليها من خلال طبيعة مادتها العلمية ولكن بعض العلوم الأخرى لا تتحدد شخصيتها إلا من خلال أسلوب أو منهج الدراسة العلمي المتبع فيها.

5.أنواع مناهج البحث العلمي:

ومن بين مناهج البحث المتداولة والمستعملة بكثرة في الدراسات الإنسانية

- على سبيل الذكر لا الحصر - نجد المنهج الوصفي والتاريخي، وهما كالآتي:

1.5. المنهج الوصفي:

يعتمد عل الملاحظة بأنواعها، بالإضافة إلى عمليات التصنيف والإحصاء مع بيان وتفسير تلك العمليات، وهو أكثر مناهج البحث ملائمة للواقع الاجتماعي كسبيل لفهم ظواهره واستخلاص سماته، ويأتي على مرحلتين: الأولى تعد مرحلة الاستكشاف والصياغة التي تحتوي بدورها على ثلاث خطوات أساسية تتمثل في تلخيص تراث العلوم المتعلقة بموضوع البحث، والاستناد على ذوي الخبرة العلمية والمعملية بموضوع الدراسة، ثم تحليل بعض الحالات التي تزيد من استبصارنا بالمشكلة وتلقي الضوء عليها. وأما المرحلة الثانية فهي مرحلة التشخيص والوصف، وذلك بتحليل البيانات والمعلومات التي جمعها تحليلاً مدعماً بأداة التحليل يؤدي إلى اكتشاف العلاقة بين المتغيرات وتقديم تفسير ملائم لها¹³.

وهو التصور الدقيق للعلاقات المتبادلة بين المجتمع والاتجاهات والميول والرغبات والتطور، بحيث إنه يعطي للبحث صورة للواقع الحيائي ووضع مؤشرات

وبناء تنبؤات مستقبلية. ويتجه العلماء إلى تقسيم هذا المنهج إلى دراسات سميت الدراسات الوصفية، ويسمى البعض هذه الدراسة بالمنهج الوصفي¹⁴.

ولأجل أخذ القارئ فكرة عامة عن هذا المنهج عند كتابة البحث يجب أن يتبع عدة خطوات، أهمها: دراسة وتحديد مشكلة البحث واختيارها، وكتابة الفرضيات، واختيار العينات والتأكد من صدق وثبات المعلومات، وإيجاد الأدلة الثابتة والقاطعة، وتلخيص البيانات وتبويبها، وكذا اختيار أساليب جمع البيانات وإعدادها، وإعطاء التفسيرات العلمية الدقيقة لها، إلى آخر محطة وهي عرض النتائج وتحليلها وتفسيرها في عبارات واضحة محددة¹⁵.

تأخذ الدراسة الوصفية أنماطاً وأشكالا متعددة لم يكن هناك اتفاق بين العلماء في تحديد عددها، بينما لخصها الباحث "فان دالين" في ثلاثة أنماط رئيسية هي: -الدراسات المسحية؛ يسميها البعض بالمنهج المسحي، ولكن اتفق العديد من الدارسين على تسمية هذا النوع بالدراسات المسحية لأنها منبعثة من المنهج الوصفي ولأنه أيضا وصف الحالة.

الدراسات المسحية هي مسح ووصف وكشف وتحديد المستويات وأكثر الموضوعات التي تناقش في الدراسات المسحية، وهي تُبنى على جمع معلومات وبيانات عن ظاهرة للتعرف عليها وتحديد وضعها ومعرفة جوانب الضعف والقوة فيها، لمعرفة مدى الحاجة لإجراء تغييرات فيه، وللدراسات المسحية المطاطية والمرونة بحيث إننا نراها واسعة أو ضيقة في مجالها؛ أي قد تدرس مناطق كبيرة ومتعددة أو قد تقتصر في دراستها على منطقة واحدة، إما إمكانية جمع البيانات أو المعلومات للدراسة المسحية، فقد تؤخذ من عينة منتقاة من مجتمع الأصل؛ بحيث تمثله تمثيلا صادقا أو تؤخذ من كل عضو أصيل في المجتمع المعني بالدراسة. وهنا تؤدي طبيعة المشكلة المطلوب دراستها دوراً مهماً في مجال وعمق الدراسة.

ومما يمكننا قوله، إن الدراسة المسحية تهتم بالحاضر وتدرس الحالة بشكل أعمق مع تزويد الباحث بالمعلومات التفصيلية والتحليلية، وتسمى دراسة الوضع الراهن¹⁶.

-دراسة العلاقات المتبادلة وحالتها وارتباطها؛ بحيث إنه إذا كانت الدراسة المسحية تقتصر على جمع المعلومات عن الظواهر التي تدرسها، من أجل وصف وتفسير هذه المعلومات لفهم هذه الظواهر، فإن دراسة العلاقات لاكتفي بعملية الوصف والتفسير، بل إنها تهتم بدراسة العلاقات بين الظواهر وتحليلها والتعمق بها لمعرفة الارتباطات الداخلية في هذه الظواهر، والخارجية بينها وبين الظواهر الأخرى، وعليه تم تحديد ثلاثة أنماط من هذه الدراسات هي كالآتي:

-دراسة الحالة؛ تقوم على التعمق في دراسة المعلومات على فرد معين أو مؤسسة أو مجتمع ما على أساس أنها وحدة للدراسة، ولكي تقوم بالكشف عن العوامل المؤثرة في الوحدة المدرسية أو العلاقات السببية بين أجزاء هذه الوحدة يجب أن نختبر الموقف المركب أو مجموعة العوامل المتصلة بسلوك معين في هذه الوحدة، ثم نصل إلى تعميم علمي يتعلق بهذه الوحدة وغيرها من الوحدات¹⁷.

وكما أن دراسة الحالة تتميز بالعمق، لأن الحالة المدروسة تكون ضيقة المدى فرداً أو جماعة محدودة، بل إن دراسة الحالة قد تنصب على جانب من جوانب حالة معينة محدودة، وتتم دراسة الحالة في إطار اجتماعي؛ كالأسرة والمجتمع أو الجماعة، ولما كان الإطار الاجتماعي ديناميكياً دوماً، فإن دراسة الحالة لا بد أن تتضمن معلومات ذات علاقة بالدراسة عن الناس المحيطين بصاحب الحالة المدروسة أو الجماعات الذين له بهم علاقة، والمواقف التي يتم بها التفاعل، وطبيعة العلاقات بين الحالة والحالات المماثلة والمجاورة، ومن البديهي أن الباحث يعتمد إلى كل مصدر ممكن فيستقي منه ما يتعبه مفيداً من المعلومات¹⁸.

-الدراسة السببية (العلية) المقارنة؛ وهي تبحث عن الأسباب وتقرن بينها وبين الأحداث بغية الوصول إلى جوهر الحقيقة، تقارن وجوه الشبه والخلاف بين الظواهر بغية اكتشاف العوامل والظروف التي تصاحب حدثا معيناً أو واقعة بعينها¹⁹.

كما أن هذه الدراسة لا تبحث فقط عن ماهية الظاهرة أو التعريف بها، وإنما تحاول الكشف عن الأسباب التي أدت إلى هذه الظاهرة وكيف حدثت، وكذلك فهي تقوم بمقارنة أوجه الشبه والاختلاف بين الظواهر لمعرفة العوامل والظروف التي تصاحب واقعة محددة، ومنه القول إنَّ هذه الدراسة تبحث عن الأسباب ومقارنة الأحداث للوصول إلى جوهر الحقيقة²⁰.

-دراسة الترابط؛ بحيث يستخدم الباحثون الطرائق الارتباطية لمعرفة مدى ارتباط متغيرين، وإلى أي حد تتطابق تغيرات عامل ما مع تغيرات عامل آخر، على سبيل المثال نفترض أن أحد الباحثين يتساءل عن إمكانية وجود علاقة ارتباط بين ذكاء التلاميذ في مرحلة من المراحل الدراسية، وبين العلامة المحصل عليها في مادة علمية ومعينة للسنة الدراسية التي سبقت هذه المرحلة، ويفترض هذا الباحث أنه كلما زادت نسبة الذكاء عند التلاميذ زادت علاماته ويختبر دقة هذا الفرض من خلال إجراء البحث، فتؤخذ علامات التلاميذ ونسبة ذكائهم وتسجل درجات نسبة الذكاء وترتب ترتيباً بجانب علامة كل تلميذ في الذكاء علامته في تلك المادة.

يمكننا أن نلاحظ هل أن درجات التلميذ تزداد بزيادة نسبة الذكاء؛ فإذا كان التزايد بين الاثنين فإنه لا توجد علاقة ارتباط موجبة تامة بين نسبة الذكاء ومستوى التحصيل في هذه المادة، وإذا كان ترتيباً جزئياً بين الاثنين فإنه لا توجد علاقة ما بينهما، ولكن لا يمكن تحديد شدة العلاقة إلاّ من خلال تطبيق أساليب إحصائية معينة²¹.

وعلى الرغم من ذلك، وجب على الباحث أن يراعي الظروف المتغيرة دائماً، وأن يتجنب التعميم والارتباطات والوصول إلى النتائج عن العلاقات السببية إلا بعد تمحيص واختبار لجميع الجوانب التي يتطلبها البحث، كما يجب أن يأخذ بعين الاعتبار أن البيانات الإحصائية تعد مجرد أرقام رغم ما يبدو من دقتها، وأن الإحصاءات هي وسيلة لغاية، وليست غاية في حد ذاتها، لهذا يتطلب من الباحث أن لا يقبل البراهين الإحصائية التي ينفياها الإدراك السليم²².

-دراسات النمو والتطور والاتجاه؛ لاثتم هذه الطريقة بدراسة الوضع الراهن للظاهرة فقط، بل تتناول أيضا التغيرات التي تحدث نتيجة لمرور الزمن، فهي وصف المتغيرات في مجرى تطورها عبر فترة معينة من الزمن قد تمت في شهور أو سنوات. وتنقسم طرق دراسة النمو والتطور إلى طريقتين؛ الطولية والعرضية، وهما:

-الدراسات الطولية؛ وتتم هذه الطريقة على أساس تتبع مجموعة من الأفراد أو أكثر من مجموعة لفترة من الزمن، وتسمح مثل هذه الدراسات بمعرفة كيف ومتى ولماذا ظهرت ظاهرة من الظواهر، وكذا معرفة ظروف الحالة الفردية، مع السماح بمقارنتها بغيرها من الحالات، وتحليل هذه العوامل المختلفة لبيان هذه الظاهرة²³.

-الدراسات العرضية؛ ويؤخذ في هذه الدراسة عادة قطاع من الأفراد في سن معينة ومستوى تعليمي معين وغيرهما من المستويات، ومحاولة وصف هذا القطاع، إما لمعرفة خصائصه، أو لمقارنته بمجموعة أخرى من الأفراد من لقطاع نفسه في عوامل محددة، لغرض مقارنته بأفراد من قطاع آخر في مستويات أعلى أو أقل في السن أو المستوى التعليمي، وما إليها من العوامل، لبيان الفروق بين أفراد القطاعات المختلفة في العوامل التي تحاول الدراسة اكتشافها²⁴.

كما تبرز أهمية المنهج الوصفي كونه²⁵:

-المنهج الوحيد الممكن لدراسة بعض الموضوعات الإنسانية، كما يستخدم في دراسة الظواهر الطبيعية المختلفة من مثل وصف الظواهر الفلكية والبيولوجية. كما يقدم فوائد كثيرة في فهم مختلف الظواهر الاجتماعية والإنسانية، وذلك بسبب تقديم حقائق ومعلومات وبيانات دقيقة عن واقع الظاهرة المدروسة.

-يقدم توضيحا للعلاقات بين الظواهر المختلفة، كالعلاقات بين الأسباب والنتائج، والعلاقة بين الكل والجزء، مما يساعد الإنسان على فهم هذه الظواهر. إضافة إلى تقديم تفسير وتحليل للظواهر المختلفة، مما يساعد الإنسان على فهم العوامل التي تؤثر في هذه الظواهر.

-يساعد إلى حد ما في التنبؤ بمستقبل الظواهر المختلفة من خلال تقديم صورة عن معدل التغير السابق في ظاهرة ما، مما سمح للإنسان بالتخطيط العام لبعض جوانب المستقبل، بل إنه المنهج الأكثر استخداما وملاءمة في دراسة الظواهر الإنسانية والاجتماعية لصعوبة إخضاعها للتجريب.

2.5. المنهج التاريخي:

يعرف المنهج التاريخي بأنه ذلك البحث الذي يصف ويسجل ما مضى من وقائع وأحداث- الماضي، ويدرسها ويفسرها ويحللها على أسس علمية منهجية ودقيقة؛ بقصد التوصل إلى حقائق ومعلومات، أو تعميمات تساعدنا في فهم الحاضر على ضوء الماضي، والتنبؤ بالمستقبل.

-ذلك المنهج المعني بوصف الأحداث التي وقعت في الماضي وصفا كيفيا، يتناول رصد عناصرها وتحليلها ومناقشتها وتفسيرها، والاستناد على ذلك الوصف في استيعاب الواقع الحالي وتوقع اتجاهاتها المستقبلية القريبة والبعيدة. ومما سبق من التعريفات يتضح لنا الآتي:

- يهتم المنهج التاريخي بدراسة ظواهر حدثت في الماضي حيث يتم تفسيرها بهدف الوقوف على مضامينها والتعلم منها ومعرفة مدى تأثيرها على الواقع الحالي للمجتمعات واستخلاص العبر منها.

- المنهج التاريخي مستمد من دراسة التاريخ؛ حيث يعمل الباحث على دراسة الماضي وفهم الحاضر من أجل التنبؤ بالمستقبل.

- يمكن استخدام المنهج التاريخي في حل مشكلات معاصرة على ضوء خبرات الماضي.

- يساعد المنهج التاريخي في إلقاء الضوء على اتجاهات حاضرة ومستقبلية.

- التاريخ معمل للعلوم الاجتماعية؛ حيث ينمي معرفة الباحث ويثري أفكاره في الإنسان والمجتمع²⁶.

أ- استخداماته:

يستخدم المنهج التاريخي في:²⁷

- دراسة التاريخ بمعناه العام؛ الذي يتمثل في دراسة الماضي بمختلف أحداثه وظواهره. ودراسة التاريخ بمعناه الخاص؛ الذي يعني البحث في مجمل حياة البشر الماضية وما تشتمل عليه من علاقات بين الأحداث والمتغيرات في الفترات الزمنية المختلفة، وبالذات العلاقات السببية المسؤولة عن تطور وتغير هذه الظواهر والأحداث عبر الزمن.

- دراسات علم الآثار والجيولوجيا والتاريخ البشري لكي يتم استخلاص الحقائق المتعلقة بجميع الظواهر والأحداث التي تدرسها وتتناولها هذه العلوم.

ج- عيوبه:

من أبرز عيوب المنهج التاريخي ما يأتي:

- لا يقوم على الملاحظة المباشرة للظواهر والأحداث، فالمؤرخ يتعامل مع ظواهر حدثت في الماضي وانتهت، فهو يعتمد على الطريقة التقليدية في جمع البيانات، التي تتلخص في السماع عن الآخرين والنقل عنهم أو الأخذ عن بعض الوثائق التي كتبها أشخاص آخرون شاهدوا هذه الظواهر أو سمعوا عنها، وهذه المصادر قد لا تكون دقيقة.

- لا يعتمد على التجربة العلمية للوصول إلى الحقائق، فمصدر المعرفة الأساسي فيه هو الآثار والسجلات التاريخية وأحيانا الناس أو الأفراد، وإن كان هؤلاء لا يملكون القدرة التي تمكنهم من الاحتفاظ بالحقيقة لفترة زمنية طويلة. وقد يميل هؤلاء الأفراد إلى التحيز أو المبالغة في وصف الحقائق وتصويرها.

- المنهج التاريخي بحكم دراسته للماضي لا يمكن الباحث من استرجاع الظواهر والسيطرة عليها أو التأثير فيها، لذلك فإن النتائج والمعرفة التي يتم التوصل إليها من خلال تطبيق المنهج التاريخي تكون غير دقيقة وفق المعايير العلمية الحديثة؛ لأنها غير كاملة وتستند إلى أدلة وبراہين جزئية.

- لا يستطيع الباحث التاريخي مهما كان دقيقاً أن يصل إلى كل الحقائق المتصلة بمشكلة الدراسة، فالمعرفة تبقى جزئية تستند إلى أدلة جزئية، ولن يستطيع الباحث اختبار كل الأدلة²⁸.

ج-مميزاته: وعلى الرغم من عيوب المنهج التاريخي، إلا أن من أهم مميزاته الآتي:
- يعد منهاجاً ناقداً يبحث عن الحقيقة من خلال أسلوب علمي يبدأ بتحديد المشكلة مروراً بوضع الفروض الملائمة وجمع البيانات والمعلومات وإخضاع الفروض للاختبار، ومن ثم الوصول إلى نتائج منشودة.

- إن الاعتماد على الملاحظة غير المباشرة في هذا المنهج لا تنقص من قيمته خصوصاً إذا ما تم إخضاع البيانات للنقد والتمحيص الدقيق.

- لا يعد الرجوع إلى الوثائق والسجلات والتقارير السابقة والآثار والمقابلات مع الأشخاص الذين عايشوا الأحداث نقطة ضعف في البحث التاريخي، وذلك إذا استخدم الباحث المنطق والتحليل والتمحيص للبيانات والمعلومات المستخدمة²⁹.

د- مصادر معلومات المنهج التاريخي:

يمكننا حصر مصادر المعلومات في دراسات المنهج التاريخي في الآتي:

- المصادر البشرية؛ وهم شهود العيان، والمعاصرون، والمشاركون في الموضوع قيد البحث والدراسة.

- المصادر المكتوبة والمشاهدة وهي كالآتي:

- المخطوطات: بعد إخضاعها للنقد الداخلي بما تتضمنه من نصوص ولغة، وأسلوب، وشواهد، وبراهين، وتعرضها للنقد الخارجي من حيث الزمن الذي كتبت فيه، الذي تتحدث عنه، وعلاقتها بما كتب في مجال نصوصها ومضامينها أو ما كتب عنها.

- الوثائق الرسمية من مقالات، وأفكار، وأشعار، وسجلات، وتقارير، وصحف معتمدة.

- المذكرات والمراسلات الرسمية والمذكرات الخاصة والتي تعد مهمة لحياة الفرد إذا وقعت في يد الباحث خاصة إذا كان صاحب الحالة المدروسة من الذين يعانون من أمراض نفسية واجتماعية من خلال البحث التتبع التاريخي لحياته والظروف المسببة والمحيطه بحالته.

- السجلات والوثائق بمختلف أنواعها مثل: الدساتير، القوانين، سجلات المحاكم، قوائم الضرائب، القوانين والأنظمة، الإحصاءات المختلفة، الصحف والكتب القديمة والمنشورات بأنواعها، الصور والأفلام والخرائط، الأساطير والحكايات الشعبية، السير الذاتية، واليوميات، الرسائل، الوصايا، العقود بأنواعها... الخ.

- الآثار والشواهد التاريخية: وتتمثل في بقايا ومخلفات العصور السابقة مثل، بقايا المدن والهياكل والمدرجات والمدافن والمخطوطات الخ.

- الدراسات التاريخية القيمة: وتشمل الكتب والدراسات التاريخية بأنواعها المختلفة.

- الشواهد المادية التي يمكن مشاهدتها وملاحظتها، كالأثار، والتحف، والرسومات³⁰

هـ-أدوات المنهج التاريخي وخطواته:

للتاريخ شواهد وأدلة يمكن التأكد منها، لذا فإن من أهم أدوات المنهج التاريخي نجد: الملاحظة والمشاركة، والمقابلة، والاستبيان³¹.

كما يمكننا حصر خطوات القيام بالبحث التاريخي في خمس خطوات وهي كالآتي:

هـ-1. الشعور بالمشكلة وتحديد؛ فعلى الباحث أن يراعي عند اختيار المشكلة موضع الدراسة ومتداها التاريخي بحيث يكون لها صفة الاستمرار والدوام النسبي بما يمكن من تعقب الظاهرة والتعرف على مراحل تطورها. وعادة يستقي الباحث مشكلة الدراسة من ميدان تخصصه ومن خلال اطلاعه على الدراسات السابقة³².

هـ-2. جمع البيانات والمعلومات أو المادة التاريخية (الوثائق)؛ يتم جمع الوثائق المتعلقة بمشكلة البحث من مختلف المصادر، على أن يراعى أن تكون الوثائق متعلقة بمشكلة البحث، وأن تكون كافية فيما تتعرض إليه، بالإضافة إلى ضرورة أن تكون وثائق محسوسة وليست معنوية³³.

هـ-3. تحليل المصادر ونقدها؛ يتضح من مصادر المعلومات التاريخية أنها في معظمها مصادر غير مباشرة وقديمة وهذا يضفي شكوكا حول دقتها وصدقها؛ لذا يجب على الباحث التأكد من صحة المعلومات التي جمعت وذلك ليكون البحث أكثر مصداقية وأمانة في ذلك، ويكون النقد على نوعين هما:

-النقد الخارجي؛ ويتضمن التأكد من صحة الوثيقة محل البحث وهو بدوره ينقسم إلى نوعين هما نقد التصحيح، ونقد المصدر، نوضحهما كالآتي:

- نقد التصحيح؛ وفيه يتم التأكد من صحة الوثيقة ونسبتها إلى صاحبها؛ وذلك بالتأكد من صحة الوثيقة الخاصة بحادثة معينة أو أكثر؛ لتحديد مدى صحتها ومدى صحة نسبتها إلى أصحابها، وذلك لما تتعرض له كثير من الوثائق من حشو وتزييف وإضافات دخيلة أو تحريف؛ لأسباب كثيرة وأشكال متعددة، فالوثيقة قد تكون مكتوبة بيد المؤلف، أو بيد شخص آخر، ولا توجد سوى نسخته الوحيدة هذه؛ فيكون من واجب الباحث تصحيح الخطأ في النقل، وقد تكون الوثيقة متعددة النسخ وأماكن التواجد؛ بحيث يحتاج الأمر إلى تحديد النسخة الأصلية مما نسخ عنها.

- نقد المصدر؛ وفي هذه المرحلة يتم التأكد من مصدر الوثيقة وزمانها ومؤلفها؛ للتأكد من نسبتها لصاحبها؛ وفحص الوقائع الوارد ذكرها في الوثيقة، ومقارنتها بأحداث العصر المنسوبة إليه.

- النقد الداخلي؛ ويقصد به تقييم محتوى الوثيقة وصحة ومعنى الكلام الموجود فيها، والتأكد من دقتها، وهو كذلك على نوعين:

- النقد الإيجابي؛ والهدف منه تحديد المعنى الحقيقي والحرف للنص وما يرمي إليه الكاتب، وهل حافظ على المعنى نفسه في الوقت الحالي أم لا.

- النقد السلبي؛ ويقصد به التعرف على مدى موضوعية الكاتب، وهنا يتم التحقق من رؤية الكاتب لمشاهدة الوقائع بدراسة مدى خطأ أو تحريف الوثيقة، كذلك مدى أمانته في نقل الواقعة، وهل كان موضوعياً وصادقاً، أم شوه الحقائق، وهل شاهد الحادثة أم سمع عنها، والتأكد من سلامة جسمه وعقله وسنه.

ويؤدي النقد السلبي دوراً كبيراً في التأكد من هذه المعلومات، وكذلك معرفة ما السبب الذي أدى به إلى كتابة هذه الوثيقة والإحاطة بجميع ظروفه آنذاك³⁴.

هـ-4. صياغة الفروض وتحقيقتها؛ وهي عبارة عن حل مؤقت لإشكالية البحث، الذي على أثره تتم دراسة الموضوع ، وقد يكون إجابة محتملة للسؤال البحثي، ومن خلال التجريب نحاول إثبات ما إذا كانت هذه الفروض صحيحة أم خاطئة.

وتتطلب الفروض في البحوث التاريخية مهارة فائقة وخيال واسع من قبل الباحث لأنه يدرس ظاهرة وقعت في الماضي، ويقوم الباحث بجمع المادة العلمية وفق نظام معين زمني أو جغرافي أو موضوعي، أو مزيج من هذه النظم. ويعتبر حصول الباحث على المعلومات ونقدها وتحليلها بمثابة إثبات للفروض والتحقق منها³⁵.

هـ-5. استخلاص النتائج وكتابة التقرير؛ بعد أن يتم الانتهاء من جمع البيانات والمعلومات وتحليلها وتقييمها والتوصل إلى إثبات صدق الفروض بعد إجراء التعديلات الضرورية عليها يخلص الباحث إلى النتائج ثم يقوم بكتابة التقرير النهائي ملتزماً بمواصفات البحث العلمي من الترتيب والتنميط والتوثيق والصياغة السليمة وغيرها³⁶.

6. خاتمة:

ومن خلال هذا البحث يمكننا أن نتوصل إلى جملة من النتائج أهمها:

- تعد العناية بالمناهج ضرورية للطلبة في إنجاز بحوثهم الأكاديمية؛ وفي مختلف مستويات التكوين؛ ليسانوس، ماستر، دكتوراه.
- يعد المنهج الوصفي أكثر مناهج البحث ملائمة للواقع الاجتماعي كسبيل لفهم ظواهره واستخلاص سماته، ولا غنى للطلاب أو الباحث عنه.
- يعتمد المنهج الوصفي على الملاحظة، بالإضافة إلى عمليات التصنيف والإحصاء والتفسير؛ إلا أنه يأتي على مرحلتين: الأولى تعد مرحلة الاستكشاف والصياغة، وأما المرحلة الثانية فهي مرحلة التشخيص والوصف؛ وذلك بتحليل البيانات والمعلومات التي جمعها تحليلاً مدعماً بأداة التحليل يؤدي إلى اكتشاف العلاقة بين المتغيرات وتقديم تفسير ملائم لها.

-إن المنهج في كتابة البحوث يقتضي من الباحث أو الطالب تحديد الإشكالية أولاً، مروراً بتحديد العيّنات أو المدونة، وصولاً إلى عرض النتائج وتحليلها وتفسيرها في عبارات واضحة ودقيقة، تُنبئ عن عمق الطرح وجدية الدراسة.

تعد أدوات المنهج التاريخي؛ الملاحظة والمشاهدة، والمقابلة، والاستبيان من أهم الأدوات التي لا غنى عنها بالنسبة للباحثين والطلبة على حد سواء.

7. المراجع

- ¹ - سورة المائدة، الآية 48.
- ² - ابن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير آي القرآن، هذبه وحققه وضبط نصه وعلق عليه: د.بشار عاد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 1415هـ-1994م، 3/111.
- ³ - جمال الدين بن منظور، لسان العرب، مادة (نهج) ، دار صادر - بيروت، ط3، 1414 هـ، 2/384.
- ⁴ - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مادة (نهج)، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 1425هـ-2004م، ص957.
- ⁵ - عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط3، 1977م، ص05.
- ⁶ - محمد طه بدوي، المنهج في علم السياسة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ص115.
- ⁷ - يتظر رجاء وحيد دويدري، البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1423هـ-2002م، ص128.
- ⁸ - ينظر محمد محمد قاسم، المدخل إلى مناهج البحث العلمي، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1999م، ص54-55.
- ⁹ - ينظر محمود محمد الجراح، أصول البحث العلمي، ص67-68.
- ¹⁰ - ينظر إبراهيم محمد تركي، البحث العلمي أسسه ومناهجه، دار الكتب القانونية، مصر، 2021م، ص106-107.
- ¹¹ - ينظر رجاء وحيد دويدري، البحث العلمي، ص130.
- ¹² - ينظر محمود سرحان علي المحمودي، مناهج البحث العلمي، دار الكتب، صنعاء، اليمن، ط3، 1441هـ-2019م، ص35-36.
- ¹³ - ينظر محمد محمد قاسم، المدخل إلى مناهج البحث العلمي، ص60.
- ¹⁴ - ينظر وجيه محجوب، أصول البحث العلمي ومناهجه، دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن، ط2، 1425هـ-2005م، ص243.

- 15 - المرجع نفسه، ص243-244.
- 16 - ينظر وجيه محبوب، أصول البحث العلمي، ص249، ورجاء وحيد دويدري، البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية، ص200-202.
- 17 - ينظر أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه، وكالة المطبوعات، الكويت، 1978م، ص292، و رجاء وحيد دويدري، البحث العلمي، ص200.
- 18 - ينظر فاخر عاقل، أسس البحث العلمي في العلوم السلوكية، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1972م، ص121-122.
- 19 - ينظر رجاء وحيد دويدري، البحث العلمي، ص205.
- 20 - ينظر وجيه محبوب، أصول البحث العلمي ومناهجه، ص257.
- 21 - ينظر المرجع نفسه، ص260-261.
- 22 - ينظر رجاء وحيد دويدري، البحث العلمي، ص210-211.
- 23 - ينظر إبراهيم محمد تركي، البحث العلمي أسسه ومناهجه، ص212.
- 24 - ينظر المرجع نفسه، ص212.
- 25 - ينظر رجاء وحيد دويدري، البحث العلمي، ص218-219.
- 26 - ينظر محمود سرحان علي المحمودي، مناهج البحث العلمي، ص37.
- 27 - ينظر المرجع نفسه، ص38.
- 28 - ينظر المرجع نفسه، ص38-39.
- 29 - ينظر المرجع نفسه، ص40-39.
- 30 - ينظر المرجع نفسه، ص40-41.
- 31 - ينظر المرجع نفسه، ص41.
- 32 - ينظر المرجع نفسه، ص42.
- 33 - ينظر إبراهيم محمد تركي، البحث العلمي، ص225.
- 34 - ينظر المرجع نفسه، ص225-227، ومحمود سرحان علي المحمودي، مناهج البحث العلمي، ص42-44.
- 35 - ينظر محمود سرحان علي المحمودي، مناهج البحث العلمي، ص44.
- 36 - ينظر المرجع نفسه، ص45.